ISSN للنسخة الإلكترونية: 2523 – 1871

التعليم البيزنطي من القرن الخامس حتى العاشر الميلادي

أ.فتحية ميمون الطيب*

المستخلص

كان التعليم أحد الجوانب الحضارية للإمبراطورية البيزنطية، وقد عُرف المجتمع البيزنطي بأنَ أغلبه كان مجتمعاً مثقفاً، وظهر فيه الكثير من المهتمين بالعلم والمعرفة، كما وضح دور كثير من الأباطرة في دعم هذا المجال. وجاءت أهمية الموضوع في أن الجوانب الحضارية البيزنطية لم تُدْرس بشكل مفصل، ومن هنا تم تسليط الضوء على التعليم وجوانبه المتعددة سواء الأساتذة أو الطلاب أو العلوم التي دُرست، وقد اعتمدتُ الدراسة المنهج السردي التحليلي، وواجهتها صعوبات تمثلت في قلة المصادر البيزنطية والمراجع التي تطرقت للجوانب الحضارية، إذ إن أغلب ما وُجد من كتب كان يهتم بالجانب السياسي والعسكري للإمبراطورية البيزنطية. توصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها: 1. إن التعليم البيزنطي كان ساميا في كثير من جوانبه، حيث إنه جسد الواقع الذي عاشته البلاد في تلك الفترات، ولكن من ناحية أخرى نجده في كثير من الأحيان مكملا لنهج من سبقوه من الإغريق والرومان. 2. كان التعليم في بدايته يعتمد بشكل أساسي على الدين، وذلك لقوة العامل الديني في العصور الوسطي، ولكن سيطرة الكنيسة وقوتها بدأت تتلاشي في أواخر العصر البيزنطي. 3. اهتم كثير من الأباطرة بالتشجيع على التعليم والمعرفة، وكان لهم دور كبير في بناء المراكز التعليمية، وإيجاد المعلمين الماهرين للتدريس فيها. 4. ظهر لدى البيزنطيين العديد من العلماء والشخصيات البارزة، التي كان لها بصمتها في كثير من المجالات.

الكلمات المفتاحية: التعليم البيزنطي – أعلام بيزنطيون

التراث الإغريقي والروماني وأثره :

اعتبر البيزنطيون أنفسهم من ورثة الإمبراطورية الرومانية القديمة، وكانوا يسيرون على نهجهم وخُطاهم، كما اعتبروا أنفسهم أنهم من أبناء جلدتهم، كما أن البيزنطيين كانوا اللاحقين لهم تاريخيا قبل الانقسام الذي حصل داخل الإمبراطورية الرومانية زمن الإمبراطور دقلديانوس.

* أستاذة بشعبة التاريخ الأوروبي الوسيط قسم التاريخ كلية الآداب جامعة بنغازي.

أما عن المعارف التي كانت تتناقل فيتضح فيها أن معظم الآداب والعلوم كان أساسها الإغريق، فقد كان الفكر الروماني امتداداً للحضارة الإغريقية، (ديورانت، 1998، ص205) ومن هنا يتضح أن الإغريق هم نبع المعرفة والعلوم الرومانية والبيزنطية على حد سواء .

وعلى الرغم من هذا فلم يمنع كلا من الجانبين (الروماني – البيزنطي) من تطوير نفسيهما بأنهم لم يكونوا آخذين عن الفكر الإغريقي بحذافيره، حيث طبع الرومان كل ما أخذوه عن الإغريق بالطابع الروماني. (نصحي، 1973م، ص759) .

قد تبنت المدرسة الرومانية الكثير من الملامح الإغريقية، وتجلي هذا الالتقاء في الفلسفة والفن الإغريقيين، وأصبح من نتائج هذا الاندماج أن أصبحت روما ذاتها تضاهي بلاد الإغريق في علومها، وصار لها تأثير مغناطيسي يجذب إليها بصفة مستمرة العلماء الإغريقيين الذين كانوا يسعون وراء الأجور العالية والشهرة العريضة .(دولي، 1964م، ص180).

ويمكن استخلاص أن القاعدة التي بنى عليها البيزنطيون علومهم وآدابهم كانت ميراث الإغريق، وبهذا فقد تبلورت هذه الحضارة عندما أخذ عنها الرومان، وتطورت ووصلت إلى البيزنطيين في قالب جديد ومغاير.

وكان من أهم المشاكل التي واجهت تلك الحضارات هي مشكلة اللغة، حيث إنَ الرومان في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد فضلوا استخدام اللغة الإغريقية القديمة، التي كانت سائدة في ذلك الوقت، واعتبروها الأمثل والأحسن في الكتابة والتعبير، ثم أصبح الوضع بعد ذلك خطيرا عندما انفصلت وانقطعت الصلة بين الكلمة المكتوبة وبين اللغة المستعملة في الكلام، وبالتالي فقدت اللغة المكتوبة أسباب الحياة والتطور، وأخذت في الموت البطيءِ التدريجي .(الشيخ، 2004م، ص329) .

وبدأت المحاولات الأولى للغة اللاتينية من خلال بعض الأعمال المسرحية والملاحم، على غرار النماذج الإغريقية ، وبالرغم من افتقار اللغة اللاتينية إلى مرونة اللغة الإغريقية وتنوعها وكثرة أدواتها فإنها برهنت على قدرتها على التكيف لتحقيق الأهداف الأدبية والفنية المطلوبة منها، ومع أنها في آثارها القديمة تبدو خشنة جافة إلا أنها أخذت تتطور تدريجيا عند الكُتاب والشعراء .(هامرتن، د . ت، ص559).

أما البيزنطيون فإنهم أهملوا اللاتينية، واهتموا باللغة الإغريقية، خاصة بعد أن أصبحت اللغة الرسمية للدولة، وبذلك أصبحت لغة التعليم والآداب والشعائر الدينية، ولكن على الرغم من توحد اللغة إلا فإننا نجدها مجزأة،

حيث ظهر منها ثلاثة أشكال، وأصبح على كل فئة أن تختار الشكل المناسب لها في التعبير والكتابة، فكانت هذه إحدى العراقيل التي وُضعت أمام الأدب البيزنطي، وأدي بالتالي إلى تشتت الأفكار، وحيرت الناس في الاختيار .

وعند الإغريق والرومان ظهرت الأساطير، فبرز منها في الأدب والفن والشعر، وبالتالي كانت مصدراً غنياً لدراسة الشيء الكثير عن الصور الفنية والفكرية التي ظهرت في تلك الآونة، وقد اعتبرت الأسطورة مرآة صادقة تعكس أفكار الشعوب وعادتهم وآدابهم وفنونهم وأخلاقهم وحياتهم المادية والروحية في صورة تقريبية، ولهذا كانت أساطير الشعوب والأمم القديمة مترابطة ترابط الحضارة ذاتها، إلا أن لكل شعب أساطيره الخاصة به .(شرقاوي، د.ت، ص10–11) .

وقد برز لدي الرومان العديد من الشعراء والمؤلفات الأدبية في عصري الإمبراطورية الجمهوري والإمبراطوري، فأدى ذلك إلى غزارة الإنتاج والمنتوج الأدبي والعلمي لديهم، ومن أبرزهم **لايفوس** (دولي، 1964م . ص 180) ، و**آتيوس** و **اينيوس** (راسكو، 1961م، ص 236) اللذان كانا من كُتاب الملاحم التي لم يبق منها سوى قطع صغيرة قليلة العدد، من أشهرها بيت كثير ما ردده المحافظون الرومان وهو: " قوام الدولة الرومانية أخلاقها القديمة ورجالها العظماء" .

وظهرت الخطابة، وتميز فيها الكثير من الخطباء الرومان؛ من أمثال **بوركيوس كاتو**، وقد تميزت خطبه بأنها ذات بيان واضح وإخلاص وفكاهة لاذعة، وفي مقدوره أن يسلط لسانه على أي إنسان يستمع إليه، (ديورانت، 1998م، ص215) وظهر أيضا الخطيب **شيشرو** الذي امتاز بغزارة إنتاجه الخطابي، (نصحي، 1973م، ص778)، وغيرهم الكثير من الشخصيات البارزة في ذلك العصر، الذي امتد تأثيرها إلى العصر الوسيط، وشمل بذلك عصر الإمبراطورية البيزنطية، فإلى جانب تأثرهم بالأدب والشعر والخطابة الرومانية تأثرت بيزنطة بالعلوم الرومانية كذلك، فكانت تتشابه إلى حد كبير مع العلوم البيزنطية، وكيف لا وقد كان منهلهم واحداً وهو المنهل الإغريقي، غير أن الرومان اتضح أن تأثرهم بالعلوم الإغريقية كالفلك والطب والجغرافيا أقل من تأثرهم بهم في المجالات الأدبية والفنية، ولهذا السبب كانوا غير مبالين بالنواحي العلمية، ولم يشتهر لديهم شخصيات كثيرة في هذه المجالات .(نصحي، 1973م، ص 760).

أما بيزنطة فقد ظهرت فيها بعض الآراء لبعض الباحثين المحدثين، التي تؤكد أو تفند التواصل العرقي بين الإغريق القدماء و البيزنطيين، كان من أهم روادها الباحث **جينكينز**، وتلميذه **سيريل مانجو**، اللذان نفيا

وجود أي عنصر إغريقي في مكونات الثقافة البيزنطية، وأن العلاقات العرقية بين الشعبين منقطعة لا استمرار لها، وعلى الجانب الآخر يقف الباحث الإغريقي **أبوستولوس فاكالوبولوس** الذي أكد على التواصل العرقي بين الإغريق القدماء والبيزنطيين، كما فند الآراء المتجاهلة لوجود عناصر من الحضارة الإغريقية في بيزنطة، وأكد على بقاء اللغة الإغريقية وبعض مظاهر وسمات الفن الإغريقي، ومكتبات الأديرة العامرة بالمؤلفات والنصوص الكلاسيكية، وفوق هذا كله وجود وعي ملحوظ بين المثقفين البيزنطيين بالصلات الحضارية والثقافية التي تجمعهم بالإغريق القدماء، وكلها شواهد تُظهر استمرارية ثقافية وفكرية وتواصلا حضاريا مع الماضي الكلاسيكي. (رمضان، 2005م، ص 56) .

قد وُضع المجتمع البيزنطي تحت هوية مزدوجة "إغريقية ورومانية " ترتكز الأولى علي أصول هذا المجتمع الثقافية والحضارية، أما الثانية فناتجة عن أفكاره السياسية، وكل منهما يبرز بوضوح عندما يجد البيزنطيون أنفسهم بحاجة إلى تحديد وصياغة هويتهم في مواجهة الآخر.(رمضان، 2005م، ص58) . وخلاصة القول يمكن اعتبار أن الإمبراطورية البيزنطية قد استفادت كثيراً من ميراث الأمم السابقة لها، وكان لإرثهم الحضاري والثقافي أثر كبير عليها، وتكون بذلك قد حافظت عليه بعد أن قدمته في شكل جديد ومغاير .

1. رعاية الأباطرة البيزنطيين للحركة العلمية :

اهتم كثير من الأباطرة البيزنطيين بالتعليم ورعوا العلوم والمعارف، ويلاحظ ذلك من خلال وجود كثير من المباني الخاصة بالتعليم، ومن أهم هذه الآثار والمعالم جامعة القسطنطينية، التي اختلف المؤرخون في بداية نشأتها، ومن مؤسسها من الأباطرة، فظهرت عدة آراء حول ذلك، فبعضهم اعتبرها من منشآت الإمبراطور قسطنطين الأول، وأنه بناها في 27 – فبراير 325م، وهناك من يقول: إن الإمبراطور ثيودسيوس الثاني هو من أسسها عام 425 م .

وقد طورت هذه الجامعة نفسها لتنافس جامعات عصرها من أمثال جامعة الإسكندرية وأثينا الوثنية، (عطا، د.ت، ص30)، وضمت العديد من الأساتذة الإغريق واللاتين.(Runciman، 1933 ، p224) .

وقد تطور التعليم تطوراً كبيراً في عصر الإمبراطور جستنيان الأول، حيث أولى اهتماماً واضحاً به وبما يحتاجه من خصائص وميزات، (اليوسف، 1966م، ص2)، كما أغلق جامعة أثينا الوثنية، وبمرور الوقت تناقص عدد الكراسي الخاصة بالدراسات اللاتينية . (هسي، 1997م، ص288) .

ومن أشهر أعمال الإمبراطور جستنيان الأول اهتمامه بجامعات القانون، حيث أولاها عناية كبيرة، ونتيجة لجهوده ازدهرت ثلاث جامعات للقانون في ذلك الوقت، واحدة في روما، والثانية في القسطنطينية، والثالثة في بيروت، (غنيم، 1982م، ص81)، ومن ضمن شروطه فيها أن يكون جميع الأساتذة من المسيحيين، (رنسيمان، 1993م، ص274)، وبذلك تحول التعليم في البلاد من الفكر الوثني القديم إلى الفكر المسيحي الجديد، وتغيرت فيه جميع بوادر التعليم والمعرفة، وأصبح العقل لا يقبل إلا كل ما هو صحيح وعقلاني .

وفي عصر الإمبراطور هرقل كذلك أصبحت اللغة الإغريقية هي لغة الحكومة والأدب والشعائر الدينية، وكذلك لغة الحديث اليومي، وأصبح بالتالي التعليم كله إغريقيا، وأضحى كل حر من الذكور وكثير من النساء وكثير من الأرقاء يتلقي قدراً من التعليم . (ديورانت، 1998م، ص181) .

اهتم أيضا الإمبراطور قسطنطين التاسع بالتعليم (بينز، 1950م، ص263)، حيث أسس جامعة القانون، وقرر أنَ من يديرها يكون علي دراية باللغة اللاتينية، وكانت هذه المعرفة أكاديمية فقط فليس هناك دليل ملموس على وجود من يتحدث باللغة اللاتينية في القرن الحادي عشر الميلادي في تلك البقاع . (baynes–moss، 1948، p200)

ومن ناحية أخرى يتبين تدخل الأباطرة في التعليم البيزنطي، حيث يظهر الإمبراطور جستنيان الأول وهو يحرم تلقي تعليم القانون إلا في جامعات القسطنطينية وروما وبيروت، (رنسيمان، 1993م، ص274)، كما كان الأباطرة يسعون لإخماد ثورة الطلاب بإرسالهم للدراسة في هذه الجامعات القانونية، ويكونوا بذلك قد حققوا هدفين من وراء ذلك أولهما إبعاد الطلبة، والثانية حصولهم على مرتبة جديدة من التعليم المواكب لحياة ذلك العصر. (Hussey، 1970، p135)

كانت جامعات الإمبراطورية ومدارسها تابعة للإمبراطور رأساً، فهو الذي يعين المعلمين، ويدفع مرتباتهم ؛ ويعزلهم متى شاء، وربما فتش على الفصول بين الحين والآخر؛ مختبراً تلاميذها، ومستمعا إلى ما يلقى بها من محاضرات، (رنسيمان، 1993م، ص272) وقد ساعد كثير من الأباطرة البيزنطيين في تطوير التعليم وجوانبه المتعددة، ودعموا ذلك في إنشاء المدارس والجامعات ومراكز التعليم المختلفة، كما كافأه كثير منهم المعلمين والأساتذة، ومنحوهم ألقاباً وصفاتٍ ساميةً داخل تلك البقاع .

ومن جهة أخرى يتضح أن البعض منهم من أمثال الإمبراطور باسيل الثاني قد تسبب في تعطيل النظام التعليمي، مما دفع بعض الطلبة والراغبين في المعرفة أن يختار بين أمرين: إما أن يتحمل العناء ويقوم بتعليم

نفسه بنفسه، أو أن يصرف على تعليمه بدفع أجرة الأساتذة الخصوصيين، وهذا تسبب في كثير من المشاكل بعد ذلك عندما وجد الإمبراطور قسطنطين التاسع أن أغلبية المحامين تقريبا من الذين علموا أنفسهم بأنفسهم، وذلك سبب خطرا على القوانين والشرائع المتعارف عليها، فأنشأ الإمبراطور جامعة القانون المذكورة سابقاً، وقد أجبر جميع المحامين على الدراسة بها قبل ممارستهم لوظائفهم، ويبدوا أن هذا التنظيم دام حتى عام 1204م . (رنسيمان، 1993م، ص275) .

قد كان للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أثرها الكبير على التعليم البيزنطي، فعندما ينعم المجتمع بالرخاء والاستقرار يزدهر التعليم ويتطور، ولكن في عدم توفر هذه المقومات يصاب بالتجمد وعدم الرقي، وكانت ظروف عدم الاستقرار هذه أثرت عليهم، ودفعت الناس للبحث عن سبل أمنهم .

وذكر المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس هذه الظروف وشرحها في كتابه (التاريخ السري)، وقال: في ظروف البلاد الصعبة كان يلجأ أبناء الطبقات العليا إلى ارتداء الأحزمة والدبابيس المصنوعة من البرونز، وعباءات من خامات أرخص خوفا على حياتهم .

2. مراكز التعليم في الإمبراطورية البيزنطية :

كان المجتمع البيزنطي مجتمعاً مثقفاً على الأقل في طبقاته الوسطي والعليا، كما كان الوريث التلقائي لفكر وأدب وتعاليم الإمبراطورية الرومانية في عصرها المتأخر، ولهذا عند بداية التاريخ البيزنطي لم يكن عليه لزاماً من بناء حضارة جديدة . Hussey 1970 ، (p135)

كما أن التراث الروماني لم يكن المورد الوحيد لهم، فقد كان من الملاحظ عنهم أنهم على الرغم من تحمسهم لمناداة أنفسهم بالرومان ونسب التقاليد الرومانية لهم، فإن أساليب معيشتهم كانت إغريقية خالصة، خاصة فيما يخص لغتهم الإغريقية .Baynes–Moss، 1948 ، (p201)

فمع بداية تكوين دولتهم وبناء عاصمتها الجديدة بدأت تظهر كثير من المباني والمراكز الخاصة بالتعليم ونقل المعارف، وهذا ما حمله كثير من الأباطرة على عاتقهم، وأبرزوا معالمه في تاريخ بعضهم، ومن أهم مراكزهم التعليمية جامعة القسطنطينية العريقة التي أصبحت تضاهي كثيراً من الجامعات الشهيرة في ذلك العصر، وكما أسلفنا سابقا هناك اختلاف بين المؤرخين عن مؤسس هذا المركز العريق .

ولقلة المصادر كان من العسير وضع تصور عام لتاريخ هذه الجامعة، ولكن من الملاحظ أنها ازدهرت في القرنيين الخامس والسادس الميلادي بصفة خاصة، ثم عادت إلى الانتعاش ثانياً من منتصف القرن التاسع حتي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وكل ما يعرف عنها أنها أقيمت في القاعة الكبرى على مسرح الكابيتول في العاصمة . (هسي، 1997م، ص288).

وفي المدارس البيزنطية وجامعة القسطنطينية لم يدخل التغير على طرق التعليم طوال عصور التاريخ البيزنطي، فكان أول ما يعلم للصبي حين يناهز السادسة من عمره الآجرومية " أي طبع اللسان بالطابع الهلليني "، هذا فضلا عن تعلمه القراءة و الكتابة والنحو والصرف، وكذلك الآداب الكلاسيكية القديمة، والتعقيبات علي تلك الآداب . (رنسيمان، 1993م، ص274).

كما كان الاقتباس من هوميروس والاستشهاد به أمراً بديهيا عند البيزنطيين، وقد كانت أساسيات الدراسة الابتدائية مقدمة لتدريب خاص في الخطابة، يتبعها دراسة للقانون أو الفلسفة على المستوى الجامعي، بالإضافة إلى مواد أخرى ؛ كالطب، والحساب، والهندسة، والفلك، والموسيقي، ولم تكن الدراسات اللاهوتية المتقدمة من بين برامج جامعة القسطنطينية. (هسي، 1997م، ص289) .

وعلي كل حال كان من الصعب تحديد المواقع الاخرى للمدارس في الكتب الأصلية، (Runciman، 1933، p223) وذلك لقلة ذكرها، وأيضا لقلة البحث عن هذه المراكز التعليمية، ومما ذكرته هذه الكتب أن كثيراً من هذه المدارس انتشرت في أرجاء الإمبراطورية وعاصمتها، وهذا يدل علي رغبة الناس في العلم والمعرفة، حتى خارج أسوار دولتهم، ومن أشهر المدن التي بنيت فيها مراكز تعليمية هي: نيقوميديا، و كبادوكيا (•)، و ساردیس (••)، وبرجامة (•••).(عطا، د.ت، ص194) .

وهناك أيضا مناطق كانت تابعة لبيزنطة تطور فيها التعليم وارتقي، من أشهرها مدينة قيصرية، التي كانت حتى نهاية القرن الرابع الميلادي مزدهرة، وبها مدارس للبلاغة والشعر، كما أنها شاركت كثيرا لإثراء

• كبادوكيا : مدينة في آسيا الصغري .

•• ساردیس : مدينة قديمة كانت عاصمة مملكة ليديا في غرب آسيا الصغري ، استولي عليها الفرس وفيما بعد الرومان، هدمها تيمور لنك ، كانت احدي المراكز المبكرة للمسيحية ، وشيدت فيها احدي كنائس آسيا الصغري السبع ، ينظر : غربال ،1965م ،ص 943.

••• برجامة : عرفت أيضا برجاموم وهي احدي المدن القديمة الشهيرة في غربي آسيا الصغري ، ومن المحتمل أنها أُسست قبل مئات السنين من التاريخ الذي صارت فيه مركزا مهما للثقافة الاغريقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، ينظر : الموسوعة العربية العالم، 1999م ، ص316.

الحركة الأدبية في هذه الفترة، أضف إلى ذلك الإسكندرية ودورها البارز في هذا المجال . (visiliev ، 1961، p117)

وإلي جانب مراكز التعليم الحكومية كان هناك الدراسة في بيوت المهتمين بالتعليم، وغالبا ما كانت بيوت المتعلمين ذائعي الصيت في ذلك الوقت . (هسي، 1997، ص299) ، وهذا إن دل علي شيء فإنه يدل على مدى وعي المجتمع البيزنطي، ومحاولاته العديدة وسعيه الكبير للحصول على أعلى مستوى من العلوم والمعارف، حتى يصل لمستوى راقٍ بين أقرانه من مجتمعات عصره.

وخلال الفتوحات الإسلامية انتقلت كثير من هذه البقاع إلى أيدي المسلمين، وبالتالي هذه المراكز التعليمية خاصة جامعة بيروت والإسكندرية وأنطاكية، وبقيت جامعة القسطنطينية تجري على التقليد البيزنطي، وقد عُرفت بأنها أفضل مركز تعليمي في العصور الوسطي على الأقل حتى عام 1204م، كما كانت حقلا لتدريب الإداريين، وهي تمول من قبل الحكومة ومن جهات أخري .، 1970 ، (Hussey p135)

3. التعليم الكنسي :

دعمت الكنيسة التعليم في الإمبراطورية البيزنطية، فأنشأت المدارس والمعاهد التي كانت تدرس الفلسفة والقانون والطب و أدب اللغة اللاتينية والإغريقية وبلاغتها، وشيدت أيضا المدارس الرهبانية التي ركزت على الكتاب المقدس واللاهوت، لكنها تضمنت أيضا تعليم نصوص أدبية وفلسفية وعلمية في المناهج الدراسية، وبذل الرهبان الأرثوذكس جهودا في نسخ المخطوطات الكنيسية وكتب الأدب القديم .

وبدأ دور الكنيسة واضحا في التعليم وهيمنتها عليه، وبمرور الوقت زاد تضييقها على المتعلمين أيضا، بيد أن الأمور كانت أكثر استقراراً منذ حلول القرن التاسع الميلادي، كما أن سلطة الكنيسة أصبحت أقل تشدداً على التعليم .(رنسيمان، 1993م، ص275).

وقد انتشرت في بيزنطة المكتبات، فظهرت في الجامعات والمدارس والكنائس والأديرة، وفي بعض بيوت الطبقات الراقية أيضا، وهذا ما سمح لهم بالمحافظة على التراث القديم بمختلف فروعه النظرية والتطبيقية . (هسي، 1997م، ص 299)

وكانت فكرة هذه المكتبات فكرة قديمة جاءت مع بداية التاريخ البيزنطي، ومع أُولى المدارس المُقامة في العاصمة البيزنطية، حيث ألحق بمدرسة قسطنطين الأول مكتبة أسسها الإمبراطور جوليان، تحوى علي مائةً

وعشرين ألف مجلد، وقد احترقت في عام 476م، إثر مظاهرات شغب في البلاد . (رنسيمان، 1993م، ص 271) .

كما عرفت البلاد المكتبات الخاصة والشخصية، التي تبعت لأشخاص اهتموا بالكتب والمعارف، ويتضح أن أغلب كتبها كانت نصوصاً دينيةً عادية، وهي تعتبر مجموعات صغيرة لا تزيد عن أربعة وعشرين مجلداً ؛ وكان ذلك بسبب ارتفاع أسعار الكتب من جهة ، وقلة الكتب المنشورة من جهة ثانية . (خليفة، 1998م، ص 919) .

أما عن المكتبات الدينية كمكتبات الأديرة فقد حوت علي كتباً دينيةً ومخلفات قليلة من العصور القديمة، (المحاسني، 1989م، ص152)، وهناك من يرى أن كل ما وُجد من كتب داخل هذه الأديرة هو عبارة عن كتب لاهوتية لا تمس الدراسات العلمية الأخرى، ويرى أصحاب هذا الرأي أنه منذ عام 476م لم تكن هناك مكتبات عامة، وظلت مكتبات الكنائس والأديرة مفتوحة للناس، وقد كان هناك ناسخون متخصصون، على الرغم من وجود عدد من الرهبان الذين كانوا يعملون بالمهنة نفسها، فهم ينسخون الكتب المقدسة التي كانت إحدى صادرات الحضارة البيزنطية.(Runciman1933، p228) .

ومجمل الحديث أن ظروف بيزنطة قد فرضت عليها أمورا ليس من السهل تغييرها، من هذه الظروف أنها إحدى الدول التي عاشت وعاصرت القرون الوسطي، وبمجرد ذكر ذلك يتوارد للفكر عامل الدين، وقوة الكنيسة، وذراع البابا التي تصدر قرارات الحرمان لكل من عارضه أو عارض مصالح الكنيسة والدين، وسذاجة الناس وسعيهم للحصول على صكوك الغفران التي كان يصدرها البابا في تلك الفترات، كيف لا وهو يُصور له بأنه سوف يدخل الجنة دون عقاب ولا حساب، فهذه تعتبر في نظري من الفترات المظلمة لعصور فضل الكثير بتسميتها بهذا المسمى الظلامي؛ لأن فيها كان تقييد الفكر الإنساني وتحديده ومحاصرته .

4. العلوم والمعارف التي كانت تُدرس :

للعلوم البيزنطية دورٌ مهمٌ في نقل المعارف الكلاسيكية للعالم الإسلامي، وإلى عصر النهضة في إيطاليا، وأيضا في نقل العلوم العربية إلي عصر النهضة في إيطاليا، ففي مجال الطب نجد أنه ارتبط بقاعدة المعرفة، التي وضعتها من سبقهم تاريخيا وهم الإغريق والرومان، وقد حافظت الممارسات الطبية البيزنطية على الممارسات الطبية من العصور القديمة الكلاسيكية .

وقد ظهر في بيزنطة العديد من الأطباء المشهورين في ذلك الوقت، ولم تكن القسطنطينية هي المدينة الوحيدة التي اهتمت بالمجال الطبي، فقد اشتهرت الإسكندرية بممارسة الطب كذلك، وعبر هذه القرون الطويلة حظيت مدرستها الطبية بشهرة واسعة، وإقبال متزايد من الطلاب الراغبين في دراسة الطب من كافة أرجاء عالم البحر المتوسط، وكانت بالنسبة للبيزنطيين تضارع مدرسة القسطنطينية لدراسة القانون، وكان قول الطبيب: إنه تلقى تعليمه في الإسكندرية بمثابة تزكية كافية ومقنعة بمهارته . (رمضان، 2005م، ص ص 76–75).

كما أن الطب البيزنطي لم يكن حكراً على الأطباء فقط، حيث مارسه القديسون أيضا، الذين اهتموا بعلاج السبب الروحي، واختلفت مهمتهم عن الأطباء الذين اعتنوا في المقام الأول بمسببات طبيعية ومناهج علمية في التشخيص والعلاج . (رمضان، 2005م، ص 54).

وقد عمل الأطباء البيزنطيون على إيجاد حلول للأمراض المنتشرة في ذلك الوقت، التي كان من أشهرها داء النقرس(•)، الذي شاع بينهم شيوعاً كبيراً، ولكن في فترات معينة كانت سمعة الطب البيزنطي سيئة، إلا أن الأطباء كانت لهم جهودهم المضنية في هذا المجال، فقد استخدموا الحجامة والتدليك والكي، وكذلك عرفوا بعض العقاقير التي تحتوي على وصفات الأعشاب النافعة . (رنسيمان، 1993م، 289) .

وقد حرصت الإمبراطورية على بناء المستشفيات وأماكن إيواء المرضى ومعالجتهم، كما حرص بعض الأباطرة على رصد مبالغ طائلة لصرفها على هذه المؤسسات الطبية، (رنسيمان، 1993م، ص289) ، كما رعت الكنيسة هذه المؤسسات الطبية، فبعد مجمع نيقية في عام 325م بنى في كل مدينة مستشفى قرب الكاتدرائية، ومن أوائل المستشفيات التي أقيمت كانت من قبل الطبيب القديس **سامبسون** في القسطنطينية، وقد خصص للمرضي المعدمين، الذين يعانون من الأمراض الخطيرة، وأولئك الذين يعانون من نقص المال والصحة . (رمضان، 2005م، ص ص 87 – 88)

أما في مجال الرياضيات فقد اشتهر العديد من العلماء البيزنطيين، خاصة في القرن التاسع الميلادي، ويبدو أن الرياضيات كانت لها فروع عندهم، والدليل على ذلك اعتبارهم الفلسفة فرعاً منها . (هسي، 1997م، ص 290) .

• داء النقرس :هو مرض يُحدث التهابات حادة في المفاصل ، ويرتبط غالباً ببعض اصابات الكلي ، وهو أكثر الأمراض إصابة للذكور منه للإناث ، ينظر : غربال ، 1965م ،ص 1844.

وفي مجال الهندسة كانوا يروُون الحكايات والقصص الطوال؛ ليبرهنوا على معرفتهم بالاستدلال الهندسي وعلمهم به، وعلى الرغم من ذلك فقد اعتمدت بيزنطة وغيرها في ذلك الوقت على استنتاجات اقليدس(•) في الهندسة، وكذلك بطليموس (••) في الفلك، ولم يكن لأحد منهم لينافس الإغريق في تلك العلوم . (رنسيمان 1993م، ص 286) .

وفي علم الكيمياء كانت المساهمة البيزنطية الوحيدة هي المحافظة على أسرار النار الإغريقية، وهي النار التي كبدت أساطيل عدوهم فأحرقتها وأغرقتها، ومن المعروف أنهم ليسوا مخترعي هذه النار، وإنما انحصر دورهم في حفاظهم على سرها وعدم تداول مكونات صناعتها، ومن المحتمل أيضا أن البيزنطيين قد نبغوا أيضا في الميكانيكا ذلك لظهور بعض الدلائل التي تشير إلى ذلك . (رنسيمان، 1993م، ص 287).

أما عن الفلسفة فقد ارتبطت بعلم اللاهوت كثيراً، ويعود هذا الارتباط بعض الشيء إلى آباء الكنيسة الأوائل، الذين كانوا متمسكين بالفكر القديم، كما تنوعت الاهتمامات بالدراسات الفلسفية. (هسي، 1997م، ص 290).

وفي الجغرافيا كانت معرفتهم لابأس بها، وذلك بالرغم من اندثار خرائطهم التي لم يبق منها خريطة واحدة، وليس من الإنصاف أن نحكم على معرفتهم بالجغرافيا من الخريطة المصنوعة من الفسيفساء، التي عثر عليها قرب مادابا، والتي تمثل فلسطين في القرن السادس الميلادي، وإن كان لها أيضا مزاياها وأهميتها . (رستم، 1955م، ص 213)

كما تذكر المصادر أن الإمبراطور قسطنطين السابع لم تبدر منه إلا أخطاء جغرافية قليلة وقد أدهشهم بذلك، وإن كانت كتاباته حوت بعض الغموض في مواضع معينة، كما ربط البيزنطيون بعض الظواهر الطبيعية بالدين، كأن تدل على غضب الله، وإنها تحذيرات وعقوبات، وقد حاول بعضهم أن يضع تفسيراً علمياً لها، فقد شملت الدراسات على محاولة إيجاد تفسيرات للرعد والبرق والكسوف والخسوف وغيرها . (رنسيمان 1993م، ص 286) .

• اقليدس :يعرف باقليدس الصوري واقليدس المهندس ولد سنة 323ق.م ، وتوفي عام 300 ق.م ، وكان أعلم أهل زمانه بالهندسة وقام بالتدريس بالإسكندرية وألف كتابه أصول اقليدس .ينظر: ابن جلجل ، 1955م ،ص39 .

•• بطليموس:عالم فلك وجغرافيا ورياضيات ومؤرخ إغريقي نشأ بالإسكندرية توفي عام 161م ، اكتشف عدم انتظام حركة القمر ،وألف كتاب المجسطي المشهور ، ينظر : غربال ،1965م ،ص 381.

أما التاريخ فكان المجال الوحيد من بين المجالات الأدبية التي أبدع فيها المؤرخون البيزنطيون، فتبينت مهارتهم وقدرتهم فيه، وبدت مؤلفاتهم ذات منهج متميز، وكان الاهتمام بكتابة التاريخ يرجع إلى ما أحاطت به البلاد من ظروف، قد دفعت فئات الشعب المختلفة للاهتمام بما يدور حولهم من أحداث، خاصة وأن العاصمة كانت في حالة تهديد مستمر من شعوب مختلفة؛ كالفرس والمسلمين والسلاف وغيرهم . (عطا، د . ت، ص34).

وقد تبين انقسام المؤرخين البيزنطيين إلي قسمين :

- قسم منهم كتب عن أحداث وتواريخ ذات قيمة تاريخية، وهؤلاء كانوا من طبقات اجتماعية متميزة، وكانت قدوتهم في كتاباتهم المؤلفات الإغريقية القديمة والمشهورة .
- وقسم آخر كتب عن تواريخ عامة من السهل على الشعب تفهمها، وقام بكتابتها الرهبان وأنصاف المتعلمين .(عطا، د.ت، ص34).

وقد كثر عدد مدوني الأخبار الشعبيين، وكان البيزنطيون يحبون القراءة عن الأمجاد السالفة لإمبراطوريتهم، وكان أحب كتب الأخبار إلى قلوبهم يمتد إلى أعماق الماضي وقصة طروادة وغيرها من الأخبار الماضية التي أحبوا معرفتها . (رنسيمان، 1993م، ص 282) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أغلب هذه الكتابات لاتعير الجوانب الاقتصادية والتشريعية و الإدارية التفافاً كبيراً، يضاف إلى ذلك وجود أعداد كبيرة من الكتابات القانونية، (حاطوم، 1964م، ص334) ، ومن الملاحظ أن المؤرخين البيزنطيين كانوا كثيري العدد، وأن الواحد منهم كان يبدأ بالتدوين من حيث انتهى سلفه، والملاحظة الأخرى هي أنهم اقتدوا في كتاباتهم بأسلافهم الإغريق، أضف إلى ذلك ظهور كُتاب الحوليات(•)، واعتبرت حولية المؤرخ **جون ملالاس** التي كتبت من بداية الخليقة حتى وفاة الإمبراطور جستنيان الأول أول حولية لم تُكتب للأشخاص المتعلمين، بل للرهبان والأشخاص العاديين . (حاطوم، 1964م، ص 338).

كما كان هناك بعض الكتابات للأباطرة الذين تدخلوا في هذا الجانب، وأنتجوا بعض الكتابات التاريخية، فيذكر على سبيل المثال الإمبراطور قسطنطين السابع، الذي بسط يد العون للمدرسة الزاهرة في تدوين التاريخ،

• الحوليات : هي تدوين الحوادث عاما بعام . ينظر : البياتي ، 1974 ، ص70 .

ووضع بنفسه مؤلفاً عن حياة جده باسيل الأول، كما اهتم بتدوين العرف الدبلوماسي والإمبراطوري أيضا . (هسي، 1997م، ص 135) .

وقد ظهر العديد من الذين ادعوا معرفتهم بالأعمال التاريخية المعروفة وكتابتها، وهذا ما حدث مع الحوليات التي كتبها كل من **ثيوفانيس و سيمون لوغوثيت**، حيث استعملت حولية الأخير من قبل مؤرخين مجهولين ادعوهما لنفسيهما، وأضافوا إليها بعض الإضافات التي تتعلق بأحداث القرن الحادي عشر الميلادي، وكذلك حولية ثيوفانيس فقد استعملت بالأسلوب نفسه، وأُضيف إليها أحداث تتعلق بالفترة الجديدة اللاحقة لها. (حاطوم، 1964م، ص 345). وهناك فرق واضح بين مؤرخي العصور الوسطي والمؤرخين المحدثين ؛هو أن مؤرخي العصور الوسطى كانوا يمتلكون من أدوات البحث التاريخي قدراً أقل بكثير مما هو لدي المؤرخين المحدثين . (سمالي، 1984م، ص 64).

وخلاصة الحديث أن بيزنطة تميزت في علوم معينة، وعلا نجمها، وبرز لها شخصيات مشهورة في هذه المجالات، ولكن من جهة ثانية نجد لها أعمالاً خجولةً في علوم أخرى، وبالكاد يذكر لها بعض الأعمال القليلة، وهذا إن دل علي شيء فإنه يدل على تنوع الفكر البيزنطي في العصر الوسيط .

5. نماذج وأعلام الحركة العلمية في بيزنطة وانتاجها العلمي:

عندما كانت الإمبراطورية البيزنطية تنعم بالأمن والأمان برز فيها العديد من الأعلام، الذين وضعوا بصمتهم في تخصصاتهم المختلفة، وهم من أنتجوا الكثير من المؤلفات التي اعتبرت رمزا لتفكيرهم الراقي، ودلت على مدى حبهم للعلم والمعرفة، يذكر منهم على سبيل المثال:

1- أيوسيبيوس :

مؤرخ ظهر حوالي (260- 340م) واعتبر من أقدم كُتاب الحوليات (حاطوم، 1964م، ص 334)، وهو أول مؤرخ للكنيسة المسيحية، وصديق الإمبراطور قسطنطين الأول ومحل ثقته، ولد في فلسطين، وتنقلت به الأحوال حتى صار أسقفاً لمدينة قيسارية عام 314م، له عدة مؤلفات في التاريخ واللاهوت والعقيدة ، أهمها كتاب "التاريخ الكنسي " يعرض فيه نشأة الكنيسة وتاريخها الباكر، ويتحدث فيه عن آباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولي، وكتاب " حياة قسطنطين " الذي كتبه ليمتدح الإمبراطور بعد موته عام 327م . (سمالي، 1984م، ص ص 44 – 45).

2– أميانوس ماركيللينوس :

مؤرخ ظهر في القرن الرابع الميلادي، اعتبر من المؤرخين المخضرمين الذين عاصروا نهاية روما وبداية بيزنطة. (حاطوم، 1964م، ص335) .

3– بروكوبيوس :

من أشهر مؤرخي القرن الرابع، وقد كان سكرتيراً خاصاً للقائد بليزاريوس زمن الإمبراطور جستنيان الأول، وصاحبه في رحلاته، وأهم مؤلفاته التي كتب فيها عن الحروب مع الفرس والوندال والقوط، وقد اتبع منهج هيردوتوس•، وأورد معلومات وافية عن جغرافية المنطقة وشعوبها، وقد كتب تاريخاً في سبعة أجزاء، انتهى إلى عام 551م، وظهرت ثمانية أجزاء إضافية عام 553م، ولكن من أشهر أعماله التاريخ السري الذي هاجم فيه الإمبراطورة ثيودورا وزوجها جستنيان الأول، ولم يظهر إلا بعد وفاته، وله مؤلف ثالث تحدث فيه عن مباني هذا الإمبراطور ومنشأته . (عطا، د . ت، ص10) .

4– بولس :

ظهر زمن الإمبراطور جستنيان الأول، وهو أحد شعراء البلاط في ذلك الوقت، وقد عُرف باسم داعية السكوت، واستطاع في قصيدته التي ألفها بمناسبة ما قام به الإمبراطور من افتتاح مبني الكنيسة من جديد، والتي امتزج فيها الخيال الشعري والتفاصيل المعمارية الدقيقة أن يعرض صورة رائعة لكنيسة آيا صوفيا .(موس، 1967م، ص153) .

5– يوحنا الأفسوسي :

مؤرخ ولد عام 507م، أرخ للكنيسة في ثلاثة مجلدات، يتحدث في المجلدين الأول والثاني عن حوادث التاريخ منذ عهد الإمبراطور الروماني قيصر حتى عام 571م، وكتب في المجلد الثالث عن أخبار الكنيسة والعالم من 571م حتي عام 585م(رستم، 1955م، ص ص 214– 215).

• هيردوتوس : كاتب إغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، زار العديد من المدن من بينها مصر ، كتب عن الصراع بين الإغريق والفرس ، وكان شغوفا في تسجيل كل طريف وغريب . ينظر : غربال ، 1965م ، ص1926.

6- القديس اندروس سالوس :

كان من المتعلمين تعليماً جيداً، حيث تعلم الإغريقية والكتابات المقدسة بأمر من معلميه، وهو في الأصل كان عبداً ، حثه معلمه على مواصلة تعليمه . (Baynes- moss،1948, pp200-201) ،

وهنا يمكن توضيح بعض الأمور المهمة، وهي أن التعليم في بيزنطة لم يكن حكرا على الأغنياء وميسوري الحال فقط، بل كان للفقراء والرقيق أيضا، وهذا يجعلنا نقف على نتيجة لابد من ذكرها؛ وهي أن طموح الشخص البيزنطي هو من يحدد مستواه العلمي، وذلك إن ساعدته ظروف الحياة في تحقيق هذا الطموح.

7- يودوكيا :

من شعراء القرن الخامس الميلادي، وقد ألفت الترانيم، وهي ذات مواهب لا يستهان بها، وكانت تربيتها القديمة التي علما لها أبوها الأستاذ الوثني لاووندیوس تتسلل خفية إلى أشعارها، مفسدة عليها إخلاصها الديني. (رنسيمان، 1993م، ص 302).

و من المعروف عن يودكيا أنها زوجة الإمبراطور ثيودسيوس الثاني، وفي تلك الفترة انتهت وتلاشت الوثنية، إذ إنه في زمن هذه الأسرة اعترف بالمسيحية الدين الرسمي للبلاد، فكانت هذه الإمبراطورة متأثرة بفكر والدها الوثني، وظهر ذلك فيما قدمته من أشعار وترانيم بيزنطية .

8- رومانوس :

ظهر في القرن السادس الميلادي، وهو شاعر التراتيل، حيث كتب أبيات قصيدته، وفيها إذا جمعت أوائل حروف أبياتها كونت اسماً أو جملة، (رنسيمان، 1993م، ص 302)، وهو أفضل من نظم الشعر، وقد كانت أشعاره عبارة عن ابتهالات دينية . (رستم، 1955م، ص 216).

9- اسكندر الترالي :

كان مرشداً جيداً لوقائع الحياة اليومية للممارسات الطبية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، وقد كتب في أواخر حياته كتابا يدويا من النوع التقليدي لاستخدام الأطباء، يتطرق فيه لدراسة الجسم من الرأس إلى أصابع القدمين . (رمضان، 2005م، ص 85) .

10- جورج أف بيزيديا :

مؤرخ، وهو شماس كنيسة آيا صوفيا، إذ قام بتدوين حروب هرقل ضد الفرس والقبائل الآفارية، ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء، وألف أيضا كتابا دينيا شعريا بعنوان " خلق الكون في ستة أيام " .(اليوسف، 1966م، ص 4) .

11- ثيوفانيس :

مؤرخ، وتكمن أهمية كتابه في أنه المصدر الوحيد للمعلومات عن فترة ما بعد الإمبراطور هرقل، (خليفة، 1998م، ص941)، كما ألف حوليات تعرض فيها لأزمة الأيقونات. (حاطوم، 1964م، ص 43).

12- بولس الإيجي :

ظهر في أوائل القرن السابع الميلادي، ويعد آخر كُتاب الطب في العصر البيزنطي، ووضع موسوعة طبية في سبعة كتب، وخصص كتابه السادس للحديث عن الجراحة، وظهر فيه بأنه لم يكن مجرد جامع أو ناسخ، بل جراح ماهر ذو كفاءة، فقد وصف جراحات عديدة ومتنوعة من علاج كسور الأنف والفك إلى جراحات العنق، والفقرات، ولذلك أصبح أستاذاً للجراحة، وأثر في أجيال متتالية من الجراحين عبر العصور اللاحقة، ظل المصدر الوحيد للعديد من المؤلفات الغربية عن الجراحة، وعبر مؤلفه إلى الطب الإسلامي؛ لينقل المعرفة والخبرة الجراحية، (رمضان، 2005م، ص 85)، فقد دلت كتاباته في الطب على أن هناك تطوراً حدث في هذا المجال أن بيزنطة كانت حلقة اتصال بين مدرسة جالينيوس والتقدم الأخير في روما والعالم الإسلامي .

13- بليزاريوس :

شاعر، وقد ألف أغنية اتسمت بالاهتمام بالمضمون الأخلاقي في المقام الأول، وقد أراد الشاعر بها توصيل رسالة إلى حكومته مفادها أن الشعب البسيط هو وحده الذي يستطيع أن يقدم له النصيحة الخالصة الخالية من كل نفع شخصي، بينما طبقة النبلاء يملؤها الحقد والمنافع الشخصية، وهي تضر بمصالح

الإمبراطورية العليا، وهذه القصيدة الشعبية أو الأغنية الوطنية تكشف يقيناً عن وجود طبقة وسطى مناهضة لطبقة النبلاء . (خليفة، 1998م، ص 930).

14- ليو السلانيكي :

ظهرت براعته في الفلك والرياضيات ماجعله موضع إعجاب من الأجانب الوافدين من الشرق، وزاد من قيمة علمه الذي يكتنفه الأسرار، إقبال العامة عليه وتصديقه، (جيبون، 1900م، ص88)، حيث أنهى مرحلة تعليمه الأولى في القسطنطينية ، ثم ارتحل إلى جزيرة اندروس؛ ليكمل تعليمه علي يد مدرس للفلسفة والرياضيات، وحينما عاد إلى القسطنطينية أصبح أستاذاً فيها، (ديورانت، 1998م، ص 113)، وفي البداية لم تأبه العاصمة لوجوده حتى دعاه الخليفة المأمون إلى بغداد، بعد أن تفوق أحد تلاميذه في الهندسة المأسور عنده، إثر معركة قامت بينه وبين البيزنطيين، فقد كان أستاذاً ملمًا إلى جانب الرياضيات والفلك بعلوم أخرى مثل: الفلسفة ، والطب، والتنجيم، وكان يُعلمها، وقد اختبر الخليفة الأسير في عدة مسائل هندسية وأخرى في الفلك، فذُهل من إجابته، وسُر بها لدرجة أنه عرض على الإمبراطور البيزنطي ثيوفيليوس صلحاً أبدياً، وألفي رطل من الذهب إذا أعاره ليو لفترة وجيزة، فرفض ذلك وعين ليو كبيراً لأساقفة سلانيك؛ وذلك ليبعده عن يد الخليفة .(ديورانت، 1998م، ص 113).

هذا ما ترويه الكتب الأجنبية، ولا يستطيع أحد أن يُجزم بصحة هذا القول أو تخطئته، فمن جهة يمكن أن يكون الخليفة عرض هذا العرض؛ رغبةً منه في الاستفادة من العلوم والعلماء البيزنطيون، وحرصا منه على ذلك، ومن جهة أخرى كانت التنازلات التي أبدى بها الخليفة من عرضه مبالغ طائلة وصلحاً أبدياً موضع شك كبير لدى البعض .

15- جورج الراهب :

مؤرخ ظهر زمن حكم الإمبراطور ميخائيل الثالث، وكتب حولية اهتم فيها بأزمة الأيقونات اهتماماً كبيراً، وتنته حوليته بالنسبة لأحداث ما قبل عام 813 م؛ وذلك لأن جورج الراهب نقل عن ثيوفانيس، أما بالنسبة للفترة بين 813-842م فهي مهمة جداً؛ لأن المؤرخ كتب فيها أحداثاً عاصرها وشاهدها بأم عينه . (حاطوم، 1964م، ص 343) .

16- ميخائيل بسيلوس :

من أشهر مؤرخي القرن الحادي عشر الميلادي، وعلا نجمه زمن الإمبراطور قسطنطين التاسع، وقد كان يُعلم الفلسفة في جامعة القسطنطينية، ومُنح فيها لقب أمير الفلاسفة، ولكن شاء الله أن يترك الحياة العلمية وينظم إلى أحد الأديرة، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً ؛ لأن هذا التغيير لم يتماشى مع نمط حياته، كما أنه عُين رئيساً للوزراء من عام 1071–1078م فوجد متسعاً من الوقت للكتابة في السياسة والعلوم والنحو واللاهوت وفقه القانون والموسيقي والتاريخ، كما سجل كتابه المعروف باسم كرونوغرافيا، أو سجل زمن الدسائس والمخازي التي حدثت في مائة عام 976–1078م، كما زاد إلى ذلك رسائله الشخصية التي بلغت مقياساً رائعاً من السحر والبلاغة، فكانت خطبه وأشعاره وكتبه حديث الناس في زمانه، وبلغت من الجمال أن قورنت برسائل وخطب شيشرو(•) . (ديورانت، 1998م، ص 184) .

17- ليون :

مؤرخ كتب تاريخا في عشرة أجزاء، عالج فيه أحداث الفترة الواقعة بين سنتي 959–976م، واهتم بشكل خاص بانتصارات الإمبراطورين فوكاس ويوحنا تزيمسكس العسكرية، وقد كتب تاريخه على نهج ينمق فيه الأحداث، ويضفي عليها بعض البهرج اللفظي؛ ليبرزها بشكل مؤثر. (حاطوم، 1964، ص 346) .

18- كاسية :

منشدة التراتيل، عاشت في القرن التاسع الميلادي، وكانت مرشحة للزواج من الإمبراطور ثيوفيلوس، ولكنها لم تحظ بالقبول . (رنسيمان، 1993م، ص 303) .

19- أنا كومنين :

مؤرخة ، ابنة الإمبراطور الكسيوس كومنين (رنسيمان، 1993م، ص 303)، اهتمت بالكتابات التاريخية في الفترة التي عاصرتها وما كتبته أصبح مرجعاً ومصدراً مهماً في التاريخ البيزنطي .

• شيشرو : هو كاتب وخطيب روماني، عاش في العصر الجمهوري ، تعلم تعليماً حسناً و أظهر تفوقا في دراسته ، وقلما كان تفوته محاضرات الأساتذة الإغريق الزائرين ، سواء في الفلسفة أم في البلاغة ، وألم بمذاهب المدارس الفلسفية الكبري، وبدأ بممارسة المحاماة ، وكان شخصية فذة متعددة المواهب ، فإلى جانب المحاماة درس السياسة والأدب والفلسفة ، والترجمة من الإغريقية ، فليس هناك خلاف على أنه أبلغ خطباء الرومان وألمع كُتابهم ، فكانت مؤلفاته سجلاً حافلاً بأحداث زمانه وأخبار السياسة ، وقسمت مؤلفاته إلي أربعة أقسام :1- الخطب 2- الرسائل 3- المقالات الفلسفية 4- البحوث البلاغية ينظر : علي ،1970، ص ص 16 – 17 – 19.

كما انضم بعض الأباطرة إلى صفوف الأدباء والمؤرخين وكاتبي الشرائع القانونية، فيذكر منهم على سبيل المثال الإمبراطور ثيودسيوس الثاني، و اهتم بالأدب الإمبراطور ليو السادس وقسطنطين السابع اللذان كانا من رواد الكتابة والمؤلفات، فاشتهر ليو بكتابه **فن الحرب**، (السيد، 2000م، ص 39)، أما قسطنطين فإن أهم مؤلفاته كتابه **الإدارة الإمبراطورية** أو **الإتيكيت**؛ وهو عبارة عن قواعد المعاملة في البلاط الإمبراطوري، كما يضم مجموعة من التعليمات الخاصة بتنظيم الاحتفالات الرسمية والإدارة المالية للقصر الإمبراطوري . (لمزيد من المعلومات ينظر : قسطنطينيوس السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية) .

إلى غير ذلك من الشخصيات البارزة التي كان لها دور عظيم في بناء هذه الإمبراطورية التي عاشت فترة طويلة من الزمن، فعذراً للوقت الذي لم يسعفنا للإشارة إليهم في هذا الملخص البسيط .

نتائج الدراسة:

بعد هذا التحليل التاريخي توصلت الدراسة لعدة نتائج، يمكن إفرادها في النقاط الآتية– :

1. إن التعليم البيزنطي كان ساميا في كثير من جوانبه، حيث إنه جسد الواقع الذي عاشته البلاد في تلك الفترات، ولكن من ناحية أخرى نجده في كثير من الأحيان كان مكملا لنهج من سبقوه من الإغريق والرومان.
2. كان التعليم في بدايته يعتمد بشكل أساسي على الدين، وذلك لقوة العامل الديني في العصور الوسطي، ولكن سيطرة الكنيسة وقوتها بدأت تتلاشي في أواخر العصر البيزنطي.
3. اهتم كثير من الأباطرة بالتشجيع على التعليم والمعرفة، وكان لهم دور كبير في بناء المراكز التعليمية، وإيجاد المعلمين الماهرين للتدريس فيها.
4. ظهر لدى البيزنطيين العديد من العلماء والشخصيات البارزة، التي كان لها بصمتها في كثير من المجالات؛ كالطب، والفلك، والرياضيات، والتاريخ، وغيرها.
5. إن العلوم البيزنطية كانت في الأصل مستوحاة من علوم الإغريق والرومان، ولكن البيزنطيون أضافوا لها الكثير؛ ليتماشى معهم ومع متطلبات الحياة البيزنطية .

6. قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر العربية :

1. ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي (1955م(. **طبقات الأطباء الحكماء**. تحقيق :فؤاد السيد. القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار.

ثانياً : المصادر البيزنطية :

2. بروكوبيوس (2001م) . **التاريخ السري** (ت : صبري أبو الخير سليم) . الإسكندرية : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .
3. قسطنطينيوس السابع بورفيروجينتوس (1980م) . **إدارة الإمبراطورية البيزنطية** . ت–تح : محمود سعيد عمران . بيروت : دار النهضة العربية .

ثالثاً : المراجع العربية :–

4. حاطوم، نور الدين – وآخرون (1964م) . **المدخل إلى التاريخ** . دمشق : مطبعة الإنشاء.
5. خليفة، شعبان عبد العزيز (1998م) . **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى** . مج2 . القاهرة : العربية للطباعة والنشر .
6. رستم، أسد (1955م) . **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب** . ج1 . بيروت : دار المكشوف
7. السيد، السيد محمود (2000م) . **تاريخ الدولة البيزنطية**، الإسكندرية : مؤسسة الجامعة.
8. شرقاوي، فؤاد (د. ت) .**الأسطورة في الأدب اليوناني والروماني** . القاهرة : (د.ن) .
9. الشيخ، حسين (2004م) . **الرومان** . الإسكندرية : الفنية للطباعة والنشر.
10. عطا، زبيدة (د.ت). **الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى انستاسيوس** . (د.م) : دار الفكر العربي .
11. علي، عبد اللطيف أحمد (1970م) .**مصادر التاريخ الروماني** . بيروت : دار النهضة العربية.
12. غنيم، اسمت (1982م) . **إمبراطورية جستنيان** . الإسكندرية : دار المعارف .
13. نصحي، إبراهيم (1973م) .**تاريخ الرومان** . ج2 .بنغازي . الجامعة الليبية .
14. اليوسف، عبد القادر أحمد (1966م) . **الإمبراطورية البيزنطية** . بيروت : المكتبة العصرية .

رابعاً : المراجع المترجمة :

15. بينز، نورمان (1950). الإمبراطورية **البيزنطية** . (ت: حسين مؤنس – يوسف زايد. القاهرة: دار السعادة.

16. جيبون، إدوارد (1900م) . **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها** . ج2 . (ت: لويس إسكندر) .دمشق : دار الكتاب العربي .

17. دولي، دونالد . ر.(1964م) **حضارة روما** . (ت: جميل يواقيم الذهبي – فاروق فريد) القاهرة : دار النهضة .

18. ديورانت، ول وايريل (1998م) . **قصة الحضارة** .مج2–ج3 . (ت: محمد بدران) . بيروت : دار الجيل .

19. راسكو، برتون (1961م) . **عمالقة الأدب الغربي** . ج1 . (ت: دريني خشبة – أحمد قاسم جودة) القاهرة : مؤسسة روز اليوسف .

20. رنسيمان، ستيفن (1993م) . **الحضارة البيزنطية** . (ت: عبد العزيز توفيق جاويد). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية .

21. سمالي، بيريل (1984م) . **المؤرخون في العصور الوسطي** . ط2 . (ت: قاسم عبدة قاسم) .القاهرة : دار المعارف .

22. موس، سانت . ل . ب (1967م) .**ميلاد العصور الوسطي "395–814م** " . (ت: عبد العزيز توفيق جاويد) . القاهرة : دار عالم الكتاب .

23. هامرتن، جون .ا (د . ت) . **تاريخ العالم "من ابني جراكوس إلي اوغسطس** " . مج3 . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .

24. هسي، ج . م (1997م) .**العالم البيزنطي** . (ت: رأفت عبد الحميد) . الإسكندرية . عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية .

رابعاً المراجع الأجنبية :

25. Baynes ،Norman ، H. St .L ، Moss ،(1962). **The Byzantine Empire** ، New York ، Printed in Great Britain .
26. Hussey ،J.M(1970) -**The Byzantine World** ،London ، Printed in Great Britain.
27. Staven, Runciman (1933). **Byzantine Civilisation** ، London ، Printed by butler and tanner ltd.

خامساً : المعارف والموسوعات والدوريات العلمية :

الموسوعات :

28. غربال، شفيق (1965م) . **الموسوعة العربية الميسرة** . القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر .

29. عدة مؤلفين (1999م) . **الموسوعة العربية العالمية** . ط2 .ج4 . الرياض : مؤسسة أعمال للنشر.

الدوريات :

30. البياتي، عادل (1974م) . " الشعر والتاريخ "، مجلة الأقلام، ع11، السنة التاسعة، 1974م، بغداد، مطبعة الحرية .

31. رمضان، عبد العزيز، " البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين "، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط مج 5، 2006–2007م، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع .

32. المحاسني، سماء زكي، "من تاريخ المكتبات في العالم "، مجلة الناشر العربي، ع14، 1989، طرابلس، اتحاد الناشرين العرب .

33. اليوسف، عبد القادر أحمد، " ملامح عن الحياة الثقافية عند البيزنطيين "، مجلة العلوم، ع11، السنة 11، 1966م بيروت، دار العلم للملايين .